جهود العلماء في فقه السياسة من خلال السيرة النّبوية

الدكتور سليمان ولد خسال [1]

تمهيد:

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستغفره، ونشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمدا رسول الله، وبعد:

فإنّ فقه السياسة الشرعية أخذ حجمه ومكانه في سيرة المصطفى صلّى الله عليه وسلم، وهذا من خلال سلسلة من الأحداث والوقائع التي صاحبت حياة الرسول صلى الله عليه وسلم من بعثته إلى وفاته، ولقد بذل العلماء قديما وحديثا جهودا معتبرة في نقل هذه السيرة المعطّرة رواية ودراية، فجاءت أعمالهم في شكل أحداث متنوّعة وعامّة غير قاصرة على فنّ من الفنون أو مجال معيّن من المجالات، وهذه الأعمال يعبّر عنها بالمصادر غير المباشرة، أمّا المصادر المباشرة فهي تلك التي تناولت فقه السياسة بشكل متخصص ومستقل، تناولت كلّ ما له علاقة بالسياسية الشرعية في السيرة النبوية أو اقتصرت على موضوع معيّن من مواضيع السياسة.

وعليه فإنّ الإشكال المعرفي الذي يطرح: لماذا كان الاهتمام كبيرا بالسياسة في هذا العصر؟ وإلى أيّ مدى يمكن القول بأن علماء الإسلام ساهموا في بيان وإثراء فقه السياسة من خلال السيرة النبوية؟ وما هي أهمّ الآثار التي يمكن أن تترتب عن هذه الجهود؟

وللإجابة على مثل هذه التساؤلات، يمكن مناقشة ومعالجة العناصر التالية:

أوّلا: مفهوم الفقه السياسي.

ثانيا: مصادر الفقه السياسي في السيرة النبوية.

ثالثا: أسباب الاهتمام بالفقه السياسي في هذا العصر، وأهميته.

رابعا: نتائج وآثار جهود العلماء في الفقه السياسي.

---

1 ــ كلية الحقوق ــ جامعة المدية الجزائر.

أوّلا: مفهوم الفقه السياسي:

بالرغم من أن كلمة " الفقه السياسي" هي كلمة معاصرة كمصطلح علميّ، إلاّ أنّ مضامينها من صميم التراث الفقهيّ الإسلامي، وما دام أنّها كلمة مركّبة، فإنّها بحاجة إذن إلى التعريفين معا؛ تعريف باعتبارها كلمة مركّبة، وتعريف باعتبارها لقبا علميا.

1- تعريف الفقه السياسي باعتباره كلمة مركبة: إنّ عبارة "الفقه السياسي" تتكوّن من مصطلحين اثنين، يحتاج كل واحد منهما إلى تعريف لغوي واصطلاحي.

أ-الفقه لغة: تأتي كلمة الفقه عند أهل اللغة بمعنى العلم والفهم، قال ابن منظور: "وفقه فقها بمعنى علم علما"[1]، وقال أيضا: " والفقه في الأصل الفهم، يقال أوتي فلان فقها في الدين، أي فهما فيه"[2]، وتبدو عبارة الفيومي، أدقّ عندما قال: وكلّ علم لشيء فهو فقه، والفقه على لسان حملة الشرع علم خاص"[3].

ب- الفقه اصطلاحا: هو "اسم علم من العلوم المدوّنة"؛ ويبدو أنّ هذا المصطلح اشتهر عند الفقهاء والأصوليين بهذا التعريف، "وهو العلم بالأحكام الشرعية العمليّة من أدلّتها التفصيلية"[4]، و"قد شاع إطلاق الفقه على من يعلم الفنّ، وإن لم يكن مجتهدا"[5]، ولهذا سمّى أبو حنيفة علم الكلام بالفقه الأكبر، وعليه فإنّ الفقه يشمل جميع العلوم الدينيّة.[6]

ج-تعريف السياسي لغة: إن كلمة السياسي لغة تأتي بمعنى القيام بالأمر، والقيام على الأمر بما يصلحه، كما تأتي أيضا بمعنى الرياسة، قال ابن منظور: "وساس الأمر سياسة، أي قام به"[7].

د- السياسي اصطلاحا: تأتي السياسة في اصطلاح العلماء بمعنيين:

---

1 لسان العرب: ابن منظور، دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ النشر، ج37، ص3450.

2 المرجع نفسه والصفحة.

3المصباح المنير: أحمد الفيومي، المكتبة العصرية، بيروت، ط3، 1420هـ/1999م، ص248.

4 موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم: محمد علي التهانوي، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1996م، ج2، ص1282.

5 المرجع نفسه والصفحة.

6 المرجع نفسه والصفحة.

7 لسان العرب: ابن منظور، المرجع السابق، ج21، ص2149.

المعنى العام: وهو الذي له علاقة بأنظمة الحكم وعلاقاتها الدولية، لذلك عرف بأنه "العلم الذي يعرف به أنواع الرئاسات والسياسات الاجتماعية والمدنية، وأحوالها من أحوال السلاطين والملوك والأمراء وأهل الاحتساب والقضاء والعلماء وزعماء الأموال، ووكلاء بيت المال ومن يجري مجراهم"[1].

المعنى الخاص: وهذا المعنى يتصل بالعقوبة، وبالمصلحة التي يراها الحاكم، لذلك عرفت بأنها "فعل الشيء من الحاكم لمصلحة يراها، وإن لم يرد بذلك الفعل دليل جزئي"[2]، وقد جمع بعض الدارسين نماذج من هذه السياسة الشرعية مما هو منثور في الكتب الفقهية العامة[3].

2- تعريف الفقه السياسي باعتباره لقبا علميا: يبدو أن مصطلح الفقه السياسي مصطلح معاصر، ذلك أن علماء السياسة الشرعية قديما وحديثا قد أثروا هذا المصطلح، فلم يعد مصطلحا واحدا، وهذا ما ينسجم وسنّة تطور العلوم والمعارف، وما يستجيب مع مستجدات الواقع ومتغيراته.

ويظهر أن ابن فرحون المالكي وهو يشرح أنواع السياسة قد تطرق إلى معنى ومضمون هذا المصطلح، دون أن يذكر مبناه وهو "الفقه" فقال: "السياسة نوعان: ظالمة تحرّمها الشريعة، وعادلة توجب المصير إليها، والاعتماد في إظهار الحق عليها، وهي باب واسع تضل به الأفهام، وتزّل فيه الأقدام، وإهمالها يضيع الحقوق، ويعطل الحدود، ويجرّئ أهل الفساد، والتوسّع فيه يفتح أبواب المظالم، ويوجب سفك الدماء، وأخذ الأموال بغير حق"[4].

1أبجد العلوم، محمد خان، ط1296ه، الهند، ج2، ص511.

2 رد المحتار على الدر المختار المعروف بحاشية ابن عابدين، محمد أمين عابدي، دار عالم الكتب، الرياض، ط1423ه/2003م، ج6، ص20.

3فقه المتغيرات في علائق الدولة الإسلامية بغيرها: سعد بن مطر المرشدي، دار الهدي النبوي، مصر، دار الفضيلة، السعودية،ط1،1430ه/2003م، ج1، ص54 إلى ص61.

4 تبصرة الحكام: ابن فرحون المالكي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1422ه/2001م، ج2، ص115.

هذا وقد حاول بعض المعاصرين إعطاء تعريف لهذا المصطلح فقال: "الفقه السياسي هو الفهم الدقيق لشؤون الأمة الداخلية والخارجية، وتدبير هذه الشؤون ورعايتها على ضوء أحكم الشريعة وهديها".[1]

والذي ينبغي التنبيه إليه أن السياسة الشرعية جزء من الفقه[2]، إلا أن إفرادها بالبحث في علم مستقل له ما يبرره، منها تميزها عن غيرها بمراعاة المصلحة، ومنها أيضا تيسير دراستها، فقد سلخت أجزاء من الفقه، تربطها وحدة خاصة، وتتميز مسائلها وموضوعاتها بطابع خاص مثل علم الفرائض والمواريث، وعلم القضاء...[3]ووجه تسميته بالفقه أنه من مباحث الفروع عند أهل السنة[4]، يقول الإمام الجويني: "وليست الإمامة من قواعد العقائد، بل هي ولاية تامة، وعبارة معظم القول في الولاّة والولايات العامة والخاصة مظنونة في محل التأخي والتحري"[5].

ثانيا: مصادر الفقه السياسي في السيرة النبوية:

إن كتب السيرة النبوية التي تعرضت إلى مواضيع الفقه السياسي،تناولته باعتباره مصدرا غير مباشر ومصدرا مباشرا، على النحو التالي:

1-المصادر غير المباشرة: إن الكثير من مواضيع الفقه السياسي تطرقت إليه كتب السيرة النبوية، ولكن بطريقة عرضية، بمعنى أنها تناولت مختلف العلوم والمعارف بما في ذلك أحكام الفقه السياسي.

والذي يلاحظ أن هذه المصادر غير المباشرة ليست في درجة واحدة فبعضها عبر عنوانها بأنه أقرب إلى مواضيع الفقه السياسي كمصطلح المغازي والسير، ولهذا فإنها تأتي الأولى من حيث الأهمية والترتيب.

1 الفقه السياسي: محمد عبد القادر أبو فارس، دار البشير، عمان، ط1، 1999م، ص14.

2 السياسة الشرعية وعلاقتها بالتنمية الاقتصادية، فؤاد عبد المنعم أحمد، المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، 1422ه، ص43.

3المرجع نفسه، ص43 إلى ص45.

4 السياسة الشرعية: يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، مصر، ط1، 1419ه/1998م، ص17.

5 غياث الأمم في التياث الظلم: أبو المعالي الجويني، مكتبة إمام الحرمين، ط2، 1401ه، ص61.

أ–كتب المغازي: هذه المصادر التي تناولت مواضيع عدّة تتعلّق بالفقه السياسي، مثلها في ذلك مثل باقي المصادر الأخرى المتعلّقة بالسّيرة النبويّة، لكنّنا آثرنا هذا التقسيم لأنه من الناحية الشكلية أقرب إلى الفقه السياسي على أساس أنه غلّب مصطلح "المغازي"، ومن هذه المصادر سيرة ابن إسحاق المسمّاة أصلا بكتاب المبتدأ والمبعث والمغازي لمؤلفه محمد بن إسحاق[1] بن سيار المتوفى سنة 151ه، وقد شرح سيرة ابن هشام الحافظ السهيلي المتوفى سنة 581ه في كتاب "الروض الأنف"[2]، وصاحبه دفين مدينة مراكش[3].

ومنها أيضا المغازي النبوية الذي صنّفه الإمام محمد بن مسلم بن شهاب الزهري[4]المتوفى سنة 124ه؛ وكتاب المغازي للإمام الواقدي المتوفى سنة 204ه الذي يمثّل "الصورة الأخيرة من مراحل تطوّر السّيرة النبويّة في القرنين الأول والثاني للهجرة، وهو لم يرو عن الزهري مباشرة ولكنه اعتمد –في الأغلب– على الرواة الذين رووا الأخبار عن الزهري"[5].

ومن كتب المغازي أيضا كتاب الدرر في اختصار المغازي والسير لابن عبد البر القرطبي[6] المتوفى سنة 463هـ؛ ومنها كتاب الاكتفاء في مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء للإمام أبي الربيع سليمان بن موسى الكلاّعي الأندلسي[7] المتوفى سنة 643هـ.

وفي الأخير كتاب عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير للحافظ أبي الفتح محمد بن سيّد الناس اليعمري[8] المتوفى سنة 734هـ.

---

3 سيرة ابن إسحاق المسماة بكتاب المبتدأ والمبعث والمغازي، تأليف محمد بن إسحاق بن يسار، تحقيق وتعليق محمد حميد الله، معهد الدراسات والأبحاث والنشر، مطبعة محمد الخامس، فاس، المغرب، 1396ه/1976م، ص10.

2 السيرة النبوية الصحيحة: أكرم ضياء العمري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط6، 1415ه/1994م، ص66.

3سيرة ابن إسحاق، المرجع نفسه، ص له و ص لو.

4 المغازي النبوية: ابن شهاب الزهري، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، 1401ه/1981م، ص33.

5 كتاب المغازي للواقدي، تحقيق مارسدن جونس، جامعة أكسفورد، لندن، 1966م، ص29.

6 الدرر في اختصار المغازي والسير: ابن عبد البر، تحقيق الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1403ه، ص13.

3 الاكتفاء في مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء للإمام أبي الربيع سليمان الكلاعي الأندلسي، تحقيق مصطفى عبد الواحد، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1317ه/1968م، ص م.

4 عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير: الحافظ أبو الفتح محمد بن سيّد الناس اليعمري، تحقيق محمد العيد الخطراوي و محي الدين متو، دار التراث، المدينة المنورة، دار ابن كثير، دمشق، ص7.

ب –كتب السيرة النبوية: وهي أيضا من المصادر غير المباشرة، سمّاها البعض بكتب السيرة، وسمّاها البعض الآخر بتسميات أخرى، منها: كتاب الطبقات لمحمد بن سعد[1] المتوفى سنة 230هـ، ومنها تاريخ خليفة[2] بن خياط المتوفى سنة 230هـ، وقد عُثر على مخطوطه في بلاد المغرب بإعانة من الأستاذ الباحث عبد الهادي التازي[3].

كذلك كتاب أنساب الأشراف لأحمد البلاذري[4] المتوفى سنة 279هـ، ومن المصادر، كتاب تاريخ الرسل والملوك لمحمد بن جرير الطبري[5] المتوفى سنة 310هـ، ومنها "جوامع السيرة" لابن حزم الظاهري المتوفى سنة 456 هـ، فقد رجّح بين الروايات وجرّد السيرة من الأشعار والقصص[6]، ومنها "الكامل في التاريخ" لابن الأثير الجزري المتوفى سنة 632هـ.

ومنها "زاد المعاد في هدي خير العباد" لابن قيم الجوزية المتوفى سنة 751هـ، والسّيرة النبوية للحافظ الذهبي المتوفى سنة 748هـ، ومنها البداية والنهاية للحافظ ابن كثير المتوفى سنة 774هـ.

ومنها أيضا "السيرة الحلبية" لبرهان الدين الحلبي المتوفى سنة 841هـ[7]، و"إمتاع الأسماع للمقريزي" المتوفى سنة 845هـ، وسمّاهإمتاع الأسماع بما للرسول من الأنباء والأحوال والحفدة والمتاع صلى الله عليه وسلم[8]، ومنها "المواهب اللدنية بالمنح المحمدية"لأحمد بن محمد القسطلاني المتوفى سنة 923هـ[9]،ومنها "سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد" لمحمد بن يوسف لدمشقي

---

5 كتاب الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد، تحقيق الدكتور علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1421هـ/2001م، ص8.

2 تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمري، دار طيبة، الرياض، ط2، 1405هـ/1985م، ص3.

3 السيرة النبوية الصحيحة: أكرم ضياء العمري، المرجع السابق، ص67.

4 أنساب الأشراف: أحمد يحيى البلاذري، تحقيق محمد حميد الله، دار المعارف بمصر، ص6.

9 تاريخ الرسل والملوك لأبي جعفر الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط2، 1387هـ/1967م، ص24.

6 السيرة النبوية الصحيحة: أكرم ضياء العمري، المرجع نفسه، ص67 وما بعدها.

7 السيرة النبوية الصحيحة: أكرم ضياء العمري، المرجع السابق، ص69.

2 إمتاع الأسماع لتقي الدين المقريزي: تحقيق محمد عبد الحميد النميسي، ومحمد جميل غازي، دار الأنصار، القاهرة، ط01، 1401ه/1981م، ص30.

3 السيرة النبوية الصحيحة:أكرم ضياء العمري، المرجع نفسه والصفحة، وانظر أيضا: المواهب اللدنية بالمنح المحمدية: أحمد القسطلاني، شرح وتعليق: مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1416ه/1996م.

الشامي المتوفى سنة 942هـ[1]،ومنها شرح المواهب اللدنية لمحمد بن عبد القاضي الزرقاني المتوفى سنة 1122هـ[2].

2-المصادر المباشرة: يبدو أن المصادر التي تناولت الفقه السياسي بطريقة مباشرة بشكل كامل أو تكاد من سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم، تبرز فيما يلي:

أ- الكتب التي أصّلت الفقه السياسي: لعل من أهم المصادر التي شكلت طفرة في الفقه السياسي عبر تاريخ المسلمين الكتاب الموسوم بـــــ"تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية" لصاحبه علي بن محمد بن مسعود الخزاعي التلمساني ثم الفاسي المتوفى سنة 789هـ، يتكون هذا الكتاب من عشرة أجزاء بدأها بمؤسسة الخلافة[3]، وانتهى بذكر أمور متفرقة مما يرجع إلى معنى الكتاب[4]، وقد تميز هذا المصدر بالثراء والإسهاب في مباحث العلاقات الدولية حيث خصص الجزء الثالث في الحديث عن العلاقات السلمية كالعهد والصلح[5].

وسبب اتخاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الخاتم[6]، ومشروعية بعث الرسل والسفارات[7]، وتناول أيضا الحديث عن السفن البحرية الحربية[8]، وعن الآلات الحربية[9]، وعقد الأمان[10].

4 المرجع نفسه والصفحة، وانظر أيضا: سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد للإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي، تحقيق مصطفى عبد الواحد، مطابع الأهرام، القاهرة، 1418ه/1997م.

5 المرجع نفسه والصفحة.

6 تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية، علي بن محمد بن مسعود الخزاعي، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1405ه/1985م.

7 تخريج الدلالات السمعية للخزاعي، المرجع السابق، ص.35

8 المرجع نفسه، 798، وانظر أيضا: جهود فقهاء المغرب العربي في بناء النظام الإسلامي، سليمان ولدخسال، أطروحة دكتوراه في العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر، 2008، ص57 وما بعدها.

6تخريج الدلالات : الإمام الخزاعي، المرجع نفسه، ص185.

7المرجع نفسه، ص185.

8الرجع نفسه، ص491 إلى ص495.

9المرجع نفسه، ص525.

10 المرجع نفسه والصفحة.

والذي يبدو أن ابتكار الإمام الخزاعي في هذا الكتاب أنه قام بعملية التأصيلالشرعي لمواضيع الفقه السياسي الإسلامي وهذا من خلال النموذج العملي الذي برز في أحداث سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم؛ فهو ليس كحال كتب السياسة الشرعية التي اكتفت بذكر الأحكام المتعلقة بهذا العلم، بل تجاوز هذه المرحلة إلى التأصيل والتدليل، وهذا باستثمار ما جاء في السيرة المعطرة.

ومن الكتب التي سارت على هذا المنهج كتاب "نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية" للعلامة المحدث محمد عبد الحي الكتاني الفاسي المتوفى سنة 1382هـ/1962م، فقد قال عنه المحقق الكبير إحسان عباس: "ولا ريب أن ما أضافه الكتاني مفيد..."[1]

وجاء في مقدمة صاحب هذا الكتاب "وأما الشؤون الخارجية فقد دعا بالبلاغ المبين، وقرر أصول الحقوق الدولية والحقوق الملّية [الوطنية]، وأوجب أصول الحروب والهدنة والمسالمة والمعاهدة... ورعاية الموازنة السياسية، والمعاهدات وأصول أهل الحماية وحقوق الجوار ومعاملة رعايا الأجانب، وأهل الذمة..."[2]؛ ولخص الغرض العام والأسمى من هذا الكتاب فقال: "حتى يعلم الناس من أبناء ملّتنا وعشق التاريخ من غيرهم، أن النبي العربي قد مدّن الشعر وسنّ من أنظمة التقدم وأنه يمر بك كثيرا أن النبي صلى الله عليه وسلم، جاء بهذا الرقي والعمران بما أنزل الله منآي ذلك وأساليبه، ولكن غفلوا عن ذكر كيفية تمشية ذلك النظام..."[3]

ومما يلحق بهذا الأصل أو يكاد، كتاب "مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة" لمؤلفه محمد حميد الله، ففي العهد النبوي قسمه على قسمين تناول في القسم الأول العهد النبوي قبل الهجرة، مع النجاشي، وبيعة العقبة الأولى والثانية، وكتاب الأنصار إلى رسول الله طالبين معلما، وكتاب أمان لسراقة بن مالك المدلجي[4]، وفي القسم الثاني وهو العهد النبوي بعد الهجرة، أورد فيه كتابه صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار، وهو دستور الدولة البلدية بالمدينة،

---

6 نظام الحكومة النبوية المسمىالتراتيب الإدارية: محمد عبد الحي الكتاني الفاسي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط2، 1416ه/1996م، ج1، ص8.

2 نظام الحكومة النبوية: الكتاني،المرجع السابق، ج1، ص15.

3المرجع نفسه، ج1، ص19.

1 مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة: محمد حميد الله، دار النفائس، بيروت، ط5، 1405ه/1985م، ص42 إلى ص54.

وتحريم المدينة المنورة وتحريره وهو تخطيط حدود الدولة البلدية بالمدينة وإحصاء الناس، وهدنة الحديبية...[1]؛ يقول الأستاذ محمد حميد الله في طبعته الأولى التي أوردها مع الطبعة الخامسة "فلا شك أنّ العهد النبوي –على صاحبه الصلاة والسلام- كان عهدا ذا نتائج هامة في تاريخ العالم السياسي والديني والاقتصادي وغير ذلك... كان من الضروري أن نجمع الوثائق المتعلقة بالعصر النبوي حتى يتسنى لنا أن نفهمه فهما صحيحا"[2].

ومن الكتب المعاصرة كتاب قراءة سياسية للسيرة النبوية للأستاذ الدكتور محمد رواس قلعه جي[3]، والذي كان يسمى من قبل التفسير السياسي للسيرة النبوية[4]، وقد قسمه إلى سبعة أبواب، ويعتقد الباحث أن السبب الذي جعله يلجأ إلى هذا النوع من التأليف أنه "لم يقدم لنا باحث تفسيرا سياسيا للسيرة النبوية، مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان أبرز عبقري سياسي شهده العالم"[5]، ويضيف "والتفسير السياسي ليس بالأمر السهل، لأن الأمور السياسية يحوطها الكثير من الغموض"[6].

وبالرغم من أن الباحث قدم لنا إضافة إلى المكتبة الإسلامية، إلا أن التعليق والبحث في كل جزئيات السيرة النبوية قد يخرج العمل من طابعه التحليلي إلى العموم والتكرار، ولهذا فإني أعتقد أن البحث في جزئية واحدة مع ربطها بواقع العصر وبالتخصص المعرفي المعاصر الذي ينسجم معها، قد يفضي إلى نتائج أكثر عمقا وأغزر تحليلا وفائدة.

وتبدو فوائد هذا الجهد الذي بذله هؤلاء العلماء في أكثر من مجال، لعلّ أبرزها قيام دولة النبي صلى الله عليه وسلم على نظم سياسة داخلية وخارجية في مدة زمنية وجيزة وبآليات سياسية دبلوماسية وقانونية، تؤكد عظمة هذا الدين وعبقرية هذه السّيرة المعطرة.

1المرجع نفسه، ص55 إلى ص368.

2المرجع نفسه، ص23.

3 قراءة سياسية للسيرة النبوية، محمد رواس قلعه جي، دار النفائس، بيروت، ط02، 1420هـ/2000م.

4المرجع نفسه، ص05.

5المرجع نفسه، ص06.

6 المرجع نفسه والصفحة.

ب– الكتب التي تناولت أطرافا من الفقه السياسي الإسلامي: لقد أفاد كثير من أهل العلماء مما اقتبسوه من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم في مجال الفقه السياسي، فبعضهم تناول أحكام هذا الفقه وغيره من خلال ما يعرف بفقه السيرة أو العبر والدروس المستخلصة من السيرة، فمثلا كتاب فقه السيرة للدكتور رمضان البوطي، كلما وصل إلى حدث سياسي إلا وعلّق عليه واستنبط منه الحكم والأحكام؛ ففي صلح الحديبية ناقش حكم الاستعانة بغير المسلمين فيما دون القتال[1]وطبيعة الشورى في الإسلام[2]، وإكرام الأسرى كما جاء في كتاب السيرة النبوية[3]،وكتاب السيرة النبوية في إبراز شعارات الحكم في الإسلام وهو الشورى[4]؛ ودعوة الملوك والأمراء إلى الإسلام أواخر سنة ستّ وأوائل سنة سبع من الهجرة، قال أبو الحسن الندري "ولما تم الصلح، وهدأت الأحوال وجدت الدعوة الإسلامية متنفسا ومجالا للتقدم...[5]وتفصيل في سياسته الخارجية كما شرح ذلك.[6]

وبعض الأبحاث الأخرى تتّخذ جانبا من جوانب السيرة النبوية، وتحاول أن تقارنه مع الواقع الحقوقي والسياسي، ومن ذلك كتاب بعض فوائد صلح الحديبية للشيخ محمد بن عبد الوهاب[7]، وصلح الحديبية "الفتح المبين" لشوقي أبو خليل[8] ومرويات غزوة الحديبية للدكتور حافظ محمد الحكمي[9]، والأمن واستراتيجية تحقيقه في السنة النبـــوية للدكتور نور الدين عباسي[10]، ودراسات

1 فقه السيرة النبوية، محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر، دمشق، ط11، 1423ه/2003م، ص237.

2 المرجع نفسه والصفحة.

3 السيرة النبوية دروس وعبر:عبد العزيز بن عبد الله الحميدي،دارالدعوة،الإسكندرية، مصر،طبعة 1426ه/2005م،ص493.

4 السيرة النبوية دروس وعبر: مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، ص126.

5 السيرة النبوية: أبو الحسن الندوي، دار الشروق، مكة، ط8، 1410ه/1989م، ص285.

6 دراسة تحليلة لشخصية الرسول محمد صلى الله عليه وسلم: محمد رواس قلعه جي، دار النفائس،بيروت،ط1، 1408ه/1988م، ص217.

7 بعض فوائد صلح الحديبية: محمد بن عبد الوهاب، تحقيق: د.ناصربن سعد الرشيد، مطابع الرياض، الرياض، ط1.

8 صلح الحديبية "الفتح المبين"، شوقي أبو خليل، دار الفكر، دمشق، ط1، 1983م.

9 مرويات غزوة الحديبية: الحافظ محمد الحكمي، دار ابن القيم، السعودية، ط1، 1411ه/1990م.

10 الأمن واستراتيجية تحقيقه في السنة النبوية، صلح الحديبية أ نموذجا، مقال بمجلة الصراط، كلية العلوم الإسلامية، الجزائر، العدد السابع عشر، رجب، 1429ه/2008م، ص58 على ص90.

للمعاهدات في العهد النبوي لعتيق عبد الرحمان العثماني[1]، كما قام بعضهم بالحديث عن العلاقات السياسية من خلال إسلام نجاشي الحبشة ودوره في صدر الدعوة الإسلامية[2].

وتناول البعض بالتحليل جوانب من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم السياسية، فمن "أولى واجبات القيادة السياسية وعي الظروف التي تعيشها، وإدراكها بحيث تستطيع التعامل مع الواقع في سبيل تغييره إلى الأفضل"[3].

وهكذا يتبين من خلال هذه النماذج التي عرضناها وهي قليل من كثير، أن علماء الأمة قد بذلوا جهودا جبارة قديما وحديثا، ولا يزالون في بيان سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم، ومن جميع الجوانب بما في ذلك مجالات الفقه السياسي الإسلامي.

ثالثا: أسباب الاهتمام بالفقه السياسي وأهمية ذلك في سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم:

إن أسباب وجدوى الاهتمام بهذا الفقه السياسي الإسلامي وبخاصة في هذا العصر، وعلى ضوء سيرة النبي صلى الله عليه وسلم تظهر في أكثر من صعيد واحد، لعل أبرزها ما يلي:

1– أن السياسة أصبحت لغة هذا العصر، ومظهر تمدّنه وعنوان حضارته، حتى لم يعد يتصور قيام دولة بدون دستور يضبطها، أو قانون ينظمها، وإنّ المشاهد اليوم أنّ السياسة غزت الواقع والبيوت وانتشرت حتى عمّت البلاد والعباد، أفلا يكون بعد كل هذا من الضروري البحث عن هذه الجوانب السياسية حتى يبرز تميّز رسالة المصطفى صلى الله عليه وسلم؟، يقول الشيخ محمد الغزالي: "قد يظهر الساسة الكبار إلى جواره أقزاما بعد التغيير الحاسم الذي أحدثه في العالم فمحا دولا، وأثبت أخرى أو أنشأها من عدم !، لكننا نأبى وصفه بأنه زعيم سياسي لأن الصفة البارزة في شخص أنه إنسان ربانيّ..."[4]؛ ومع ذلك فإن إبراز مثل هذه الجوانب السياسية والقانونية لا يمكن أن

11دراسات للمعاهدات: عتيق عبد الرحمان العثماني، البحوث والدراسات، المؤتمر العالمي الثالث للسيرة والسنة النبوية، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ص587 إلى ص623.

12 إسلام نجاشي الحبشة ودوره في صدر الدعوة الإسلامية، الدكتورة سامية عبد العزيز منيسي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1421ه/2001م.

1 قيادة رسول الله صلى الله عليه وسلم السياسة العسكرية: أحمد راتب عرموش، دار النفائس، بيروت، ط1، 1409ه/1989م، ص186.

4 المحاور الخمسة للقرآن الكريم: محمد الغزالي، دار السلام، القاهرة، ص183.

يتعارض مع شخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم الربانية، بل إن الصفة الربانية تستغرق زمان ومكان الإنسان، ولا يجوز أن تتوقف في حدود زمن معين، وتلك هي رسالة النبي صلى الله عليه وسلم.

كذلك فإن هذا العصر نحا إلى التخصص العلمي، فلم يعد عصر الموسوعات، وهذا في كل ميادين العلم والمعرفة، ذلك أن العيّنة –كما يقول علماء المناهج– كلّما كانت صغيرة، كلما كانت نتائجها أدق، فالعموميات تقصي الكثير من التفصيلات، وربما كان في بعض هذه التفصيلات كنوزا ثمينة ومعاني جليلة.

وإن الاهتمام بالفقه السياسي فيه من الإيحاء، بل فيه من البرهان ما يثبت أن ما جاء فيه الرسول صلى الله عليه وسلم هو دين ودنيا، روح ومادة، فرسالة النبي صلى الله عليه وسلم لم تكن قصرا على الأمور الروحية والأخروية، وإنما جاءتللدين والدنيا، عالجت المسائل التشريعية مثلما عالجت القضايا العقدية والأخلاقية، ولعل في اعتراف الكثير من أساطين الغرب ومفكريهم أكبر دليل على عموم رسالة المصطفى صلى الله عليه وسلم، وشمولها لمناحي الحياة، يقول الدكتور شاخت "على أن الإسلام يعني أكثر من دين، إنه يمثل أيضا نظريات قانونية وسياسية، وجملة القول إنه نظام كامل من الثقافة يشمل الدين والدولة معا"[1].

3– نصرة النبي صلى الله عليه وسلم من خلال الفقه السياسي: والأمثلة كثيرة، منها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي وقّع على العقد الاجتماعي، وليس روسو أو غيره من مدرسة العقد الاجتماعي، فمحاولات تفسير أصل نشأة السلطة مرّ عبر نظريّات متعدّدة مثل النظرية الثيوقراطية، والنظرية الديمقراطية، وقد لاقت هذه النظرية الأخيرة أي النظرية الديمقراطية، عن طريق ما يعرف بمدرسة العقد الاجتماعي رواجا كبيرا، وقبولا عند علماء النّظم السياسية الحديثة، حتى إنّ قيام الدّول الديمقراطية المعاصرة لا زال يعتمد على مثل هذه النّظريات، وأصحاب هذه المدرسة هم: توماس هوبس "1588 م-1679م"،وجون لوك "1632م - 1704م"، وجون جاك روسو" 1712م -

1 النظريات السياسية الإسلامية: محمد ضياء الدين الريس، مكتبة دار التراث، القهرة، مصر، ط7، ص29.

1753م"، وتقوم هذه النظريات في الجملة على أساس العقد، أي الاتّفاق الجماعي على عقد لنقل جماعتهم من القوانين النظرية إلى النظام.[1]

ويظهر أنّ هذه النظرية كان لها فضل كبير في ترويج المذاهب الديمقراطية، ووضعها موضع التطبيق من خلال الإقرار بأنّ أصل السلطة ناتج عن اتّفاق الجماعة، وبالتالي تقييم سلطة الحاكم بإرادة الشعب المحددة في الوثيقة الدستورية، ولما قام الدكتور السنهوري بالبحث في طبيعة عقد الإمامة عند علماء الشريعة الإسلامية قال عنه: " إنه عقد حقيقي "[2]، أي أنّه عقد مستوفٍ للشرائط من وجهة النظم القانونية، ووصفه بأنّه مبنى على الرضا، وأنّ الغاية منه أن يكون هو المصدر الذي يستمدّ منه الإمام سلطته، وهو تعاقد بين هذا الأخير وبين الأمة[3].

وأشار في مواضع أخرى إلى أنّ مفكّري الإسلام قد أدركوا جوهر نظرية **روسو**، وهي التي تقول إن الحاكم أو رئيس الدولة يتولى سلطانه من الأمّة نائبا عنها، نتيجة لتعاقد حرّ بينهما، وأنّهم عرفوا نظرية السيادة، كما عبّر عنها روسو فيما بعد[4].

وإذا كانت نظرية العقد الاجتماعي لاقت كل هذا النجاح والرواج، فإنّ أبرز نقد وُجّه لها، أنّها نظرية من نسج الخيال لا واقع لها !وأنّها أكبر أكذوبة في التاريخ صدّقها الناس؟![5]

وأما تأريخيّة هذا العقد من الوجهة الإسلامية، فإنّ بيعة العقبة الأولى والثانية[6]، ووثيقة المدنية،[7]تشكّل العقد الاجتماعي الحقيقي الذي وقع فعلا والذي فسّر نشأة الدولة في الإسلام[8].

1 النظم السياسية عبر العصور، محمد سعيد عمران وآخرون، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1999م، ص325.

2النظريات السياسية الإسلامية، محمد ضياء الدين الريس، المرجع السابق، ص212 وما بعدها.

3المرجع نفسه، ص213.

4 المرجع نفسه والصفحة.

5 النظرية السياسية والقانون الدستوري، عبد الغني بيومي عبد الله، الدار الجامعية، بيروت، 1995م، ص81 وما بعدها.

3الكامل في التاريخ، ابن الأثير، دار الكتاب العربي، بيروت، ط5، 1405ه/1985م، ج2، ص66 وما بعدها وص68 وما بعدها.

7السيرة النبوية: ابن هشام، مكتبة المنار، الأردن، ط1، 1409ه/1986م، ج2، ص163 وما بعدها.

8 جهود فقهاء المغرب العربي في بناء النظام السياسي الإسلامي، سليمان ولدخسال، المرجع السابق، ص242.

لهذا قال بعض المحقّقين: "ولكنّ العقد الاجتماعي الذي تحدّث عنه **روسو** وأمثاله، كان مجرد وهم أو خيال، أما العقد الذي حدث هنا مرتين عند العقبة، وقامت على أساسه الدولة الإسلامية فهو عقد تاريخي، هو حقيقة يعرفها الجميع،تمّ فيه الاتفاق بين إرادات إنسانية حرّة وأفكار داعية ناضجة من أجل تحقيق رسالة سامية"[1].

بل أكاد أجزم أن الكثير من المستشرقين أخذ الكثير من الأفكار من خزانة التراث الإسلامي، ولكنهم لا يقرّون بذلك، ولا يستبعد أن يكون **روسو** قد اقتبس نظريّته من هدي النبيّ ﷺ خصوصا وقد عاش فترة القرن السابع عشر والثامن عشر الميلاديين،وهي فترات تأثر فيها الغرب بالحضارة الإسلامية فأقاموا على إثرها نهضتهم الحديثة[2].

4- بيان فوائد العمل السياسي في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: إن الإسلام يؤثر السلم على السنان والأمن على الخوف، والعافية على الحرب، قال الإمام النووي منوها بفضائل صلح الحديبية:"والمصلحة المترتبة على إتمام هذا الصلح ما ظهر من ثمراته الباهرة وفوائده المتظاهرة التي كانت عاقبتها فتح مكة وإسلام أهلها كلها ودخول الناس في دين الله أفواجا، وذلك أنّهم قبل الصلح لم يكونوا يختلطون بالمسلمين ولا تتظاهر عندهم أمور النبي صلى الله عليه وسلم كما هي، ولا يحلون بمن يعلمهم بها مفصلة، فلما حصل صلح الحديبية اختلطوا بالمسلمين وجاءوا إلى المدينة، وذهب المسلمون إلى مكة وحلوا بأهلهم وأصدقائهم وغيرهم ممن يستنصحونه، وسمعوا منهم أحوال النبي صلى الله عليه وسلم مفصلة بجزئياتها ومعجزاته الظاهرة، وحسن سيرته، وجميل طريقته، وعاينوا بأنفسهم كثيرا من ذلك فما زلت نفوسهم إلى الإيمان حتى بادر خلق منهم إلى الإسلام، قبل فتح مكة فأسلموا بين صلح الحديبية وفتح مكة، وازداد الآخرون ميلا إلى الإسلام، فلما كان يوم الفتح أسلموا كلّهم لما كان قد تمهد لهم من الميل، وكانت العرب من غير قريش في البوادي ينتظرون بإسلامهم إسلام قريش، فلما أسلمت قريش أسلمت العرب في البوادي"[3].

1النظريات السياسية الإسلامية، محمد ضياء الدين الريس، المرجع السابق، ص31.

7 ولعل ما يُعضّد هذا الطرح أن مونتسيكو صاحب كتاب روح القوانين، 1698م-1755م، كان صديق الدرب لروسو في الدعوة للحريّة والثورة، والمتصفح لكتاب مونتسيكو باللغة الفرنسية، يجد أن هذا المؤلف أرخ بالتاريخ الهجري ؟!، انظر: مبادئ علم السياسة، محمود بركات، مكتبة العبيكان، الرياض، طبعة 1419ه/1999م، ص110.

1 صحيح مسلم بشرح النووي، الإمام مسلم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1424ه/2003م، ج12، ص119 وما بعدها.

إن أفضل أوقات دخول الناس في الإسلام أفواجا، هي أوقات الاستقرار السياسي، وأوقات انتشار الأمن وليس في أوقات الحروب والاقتتال، هكذا ظهر في سيرة لمصطفى صلى الله عليه وسلم، وهكذا سيظهر ذلك في مثل تلك الأزمنة عبر تاريخ الإنسانية، ولكن بشرط أن يتمثل الناس الإسلام، كما كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين معه من المهاجرين والأنصار، ومن أجل هذا قال الإمام الزهري: "فما فتح في الإسلام فتح قبله، كان أعظم منه، إنما كان القتال، حيث التقى الناس، فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب أوزارها وآمن الناس بعضهم بعضا والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة، فلم يكلم أحد بالإسلام يعقل شيئا إلا دخل فيه، ولقد دخل في تينك السنتين مثل من كان في الإسلام قبل ذلك"[1].

5- تصحيح الكثير من المواقف الخاطئة: إن الكثير من القراءات المعاصرة، سواء كانت بقصد أو بغير قصد، قد تخطئ في الكثير من الأحكام التي يصدرها النبي صلى الله عليه وسلم في القضايا السياسية، والبعض ينطلق في أحكامه من النظرة الميكيافيلية التي يريد أن يلصقها بمرامي وأهداف النبي صلى الله عليه وسلم ناسيا أو متجاهلا أن أحكام الرسول صلى الله عليه وسلم في المجال السياسي أو غيرها إنما تصدر بكونه نبيا يوحى إليه.

ولطالما اعتقدنا ونحن نقرأ عن غزوة بدر الكبرى وإرهاصاتها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يهيئ أصحابه للجهاد في سبيل الله تعالى، وكأنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يسعى إلى الطرق السلمية لإقامة دولته الفتية بالمدينة المنورة، ولكن وبمجرد تتبع إرهاصات غزوة بدر الكبرى يتبدد وينجلي هذا الاعتقاد، ففي غزوة الأبواء وعلى رأس أحد عشر شهرا من الهجرة، أراد الاعتراض على عير قريش ويريد بني ضمرة، فلم يلق حربا، فكانت فرصة لموادعة بني ضمرة من كنانة على أن لا يكثروا عليه، ولا يعينوا عليه أحدا، وكتب في ذلك كتابا لزعيمهم مخشي بن عمرو الضمري[2]، وفي غزوة العشيرة، أفلتت من قافلة قريش، وفيها وادع بني مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة، ثم عاد إلى المدينة[3].

1 السيرة لابن هشام: المرجع السابق، ج3، ص474.

2السيرة النبوية: ابن هشام، ج2، ص275.

3السيرة النبوية: ابن هشام، ج2، ص284 إلى ص285.

وتفيد المصادر أن الرسول صلى الله عليه وسلم عقد معاهدات دفاع مشترك وأمان مع غير ما ذكر في وقت مبكر من حياته بالمدينة، ولم يرتبط وقوع ذلك بخروج المسلمين في غزوة أو سرية معينة[1]، مثل كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم إلى بديل بن ورقاء وبسر وسروات بني عمرو الخزاعين، يفيدهم فيه أنه لم يخنهم منذ أن سالمهم، وأكد لهم الأمان من جانبه[2]، وكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أسلم من خزاعة، وفيه الإقرار بالمناصرة[3]، وكتاب الرسول صلى الله عليه وسلم إلى بني غفار وفيه اتفاقية دفاع مشترك ضد من يحاربهم أو يحارب المسلمين في دينهم[4]، وكتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى نعيم بن مسعود بن رخيلة الأشجعي، وفيه المحالفة على النصر والنصيحة[5]، ثم يأتي من يفسر هذه الأحلاف والمعاهدات السلمية بطريقة غريبة يتعامل فيها مع النبي صلى الله عليه وسلم، وكأنه مثل بقية السياسيين الذين يتعاملون مع الناس حسب المصلحة الميكيافيلية، يقول أحدهم: "فلقد كانت هذه الأحلاف والمعاهدات مع القبائل البعيدة والقبائل المجاورة بهدف تخذيل العدو وفتح جبهة واحدة مع قريش فقط، بينما يطمئن إلى بقية الجهات أنها لن تغزوه، ويهدف التخذيل عن العدو، فلا يبقى مع قريش مناصر في المدينة وما حولها، فلا تجد الحركة الإسلامية على ضوء هذه السمة حرجا في أن تحالف من شاءت وتحارب من شاءت، إلى أن تصبح قادرة على تطبيق الإسلام كاملا بالنسبة للمشركين، إما الإسلام وإما القتل"؟![6]

رابعا: نتائج وآثار جهود العلماء في الفقه السياسي من خلال هذه السيرة المعطرة:

وقد تحقق ذلك في أكثر من عنصر منها:

1– إن كثرة الكتابة في السيرة النبوية المعطرة، ومن مختلف الزوايا، فضلا عن القيام بالدفاع عنه صلى الله عليه وسلم، كلما أسيء إليه صلى الله عليه وسلم، بحرارة إيمانية وبعقل ناضج، بل إن

3 السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية: د. مهدي رزق الله أحمد، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط1، 1412هـ/1992م، ص332.

2 كتاب الطبقات: محمد بن سعد، دار صادر، بيروت، 1388ه/1928م، ج1، ص272.

3المرجع نفسه، ج1، ص271.

4المرجع نفسه، ج1، ص274.

5 المرجع نفسه والصفحة.

6 المنهج الحركي للسيرة النبوية، منير محمد غضبان، شركة الشهاب، الجزائر، ج2، ص12.

كل الأمة الإسلامية لتقف صفا واحدا من أجل أن لا تمس شعرة للنبي صلى الله عليه وسلم؛ كل ذلك تعبير صادق عن مدى حب المسلمين وتعلقهم بمحمد صلى الله عليه وسلم، يقول الشيخ محمد أبو زهرة مخاطبا الرسول صلى الله عليه وسلم: "إننا نكتب في العظماء لنصور نواحي عظمتهم، فالاتجاه إلى تلك الناحية هو مفتاح عظمته، فتسهل معرفته؛ ولكنك يا رسول الله فوق عظمة الأشخاص، لأن وجوه عظمتك تعددت حتى يعجز المحصي عن الإحصاء"[1]؛ ويقول في موطن آخر: "كنت الخلق القوي، والسياسي الحكيم والقائد العظيم، والحاكم الرقيق، والمربي لأمتك بالشورى، والوحي يتزل عليك، وكنت الرؤوف بأمّتك، والمحارب الرحيم، وحامل لواء الإسلام في مرحمة النبي، وعزة القوي، أنشأت جامعة مؤمنة..."[2]

2– ومن نتائج وآثار جهود العلماء الاهتمام بالسيرة رواية ودراية، والتحقق من الأخبار من حيث السند، ومن حيث المتن، يقول الدكتور أكرم ضياء العمري "المطلوب اعتماد الروايات الصحيحة وتقديمها ثم الحسنة ثم ما يعتضد من الضعيف لبناء الصورة التاريخية لأحداث المجتمع الإسلامي في عصر صدر الإسلام..وعند التعارض يتقدم الأقوى دائما.. أما الروايات الضعيفة التي لا تقوى أو تعتضد فيمكن الإفادة منها في إكمال الفراغ الذي لا تسده الروايات الصحيحة والحسنة على ألا تتعلق بجانب عقدي أو شرعي... أما الروايات التاريخية المتعلقة بالعمران كتخطيط المدن.. أو المتعلقة بوصف ميادين القتال فلا بأس من التساهل فيها[3]؛ كل ذلك مع ضرورة المرونة في تطبيق قواعد المحدثين في نطاق التاريخ الإسلامي العام[4]، ذلك أنه "ينبغي التفطن إلى أن كتب الحديث بحكم عدم تخصصها لا تورد تفاصيل المغازي وأحداث السيرة بل تقتصر على بعض ذلك.. ومن ثم فإنها لا تعطي صورة كاملة لما حدث، وينبغي إكمال الصورة من كتب السيرة المختصة، وإلا فقد يؤدي ذلك إلى لبس كبير"[5].

1خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم: محمد أبو زهرة، مطبعة دار القلم، مصر، 1399هـ/1979م، ص12.

2المرجع نفسه، ص13.

3 السيرة النبوية الصحيحة:أكرم ضياء العمري، المرجع السابق، ص40.

4المرجع نفسه، ص45.

5المرجع نفسه، ص50.

ولعل من نماذج ذلك أنه وقع خلاف كبير في صحة وثيقة المدينة، وقامت على إثر ذلك دراسات حديثة معاصرة وانتهت إلى أن "جميع فقرات الصحيفة لها شواهد من صحيح السنة والقرآن الكريم"[1].

3– تفصيل الفقه السياسي في دراسات السيرة النبوية: إنه برغم ما تحقق فإن الأكيد أن خزائن التراث الإسلامي مليئة بالمخطوطات المتعلقة بالسيرة، ولهذا كان لابد من دراسة ببليوغرافية تجمع كل ما كتب في السيرة النبوية مخطوطا كان أو مطبوعا، حتى يتمكن الباحث من العثور على ضالته خاصة وأنّ ما كتب في الفقه السياسي من خلال السيرة النبوية يعد على الأصابع حسب ما عثرنا عليه، وعلى رأس ذلك ما كتبه الإمام الخزاعي ثم الأستاذ عبد الحي الكتاني.

ومن تفعيل هذا الفقه أيضا ضرورة الاهتمام به وبخاصة في نصرة النبي صلى الله عليه وسلم، ذلك أن الغرب قد برمج –مع الأسف الشديد– على صورة نمطية اتجاه شخص النبي صلى الله عليه وسلم، فأساؤوا إليه صلى الله عليه وسلم برغم صيحات عقلاء الغرب ممن أنصفوا النبي صلى الله عليه وسلم، وسيرته الطاهرة، لقد ألف "بيير باسكاسيو"، روايته استعار تفاصيلها من الأساطير السابقة التي ألفها الكتاب الأوروبيون، وبرغم ادعائه أنه رجع إلى المصادر الإسلامية، إلا أنه لا شيء يدل على أنه رجع إلى أي من تلك المصادر، وروايته تكشف عن خيال مضطرب، مع أنه كان يعيش بين المسلمين، وفي قلب مملكة غرناطة التي ظلت إسلامية حتى نهاية حكم المسلمين في إسبانيا عام 1492م، إنه إذن لم يستفد من حياته في بلد إسلامي ومعايشته لأيام المسلمين ووجود كل ألوان الكتب في متناول يده، وكذلك الوثائق، كما كانت لديه الفرصة لمناقشة فقهاء الإسلام ليعرف الإسلام حق المعرفة، أو حتى ليكون لديه فكرة عادلة إلى حد ما، بدلا من أن يحبس نفسه في قلق من الأحكام المسبقة والأفكار الخاطئة عن الآخرين، وحتى في أيامنا هذه لاحظت أنه ما تزال عند القساوسة في بلاد الإسلام نفس آراء "بيير باسكاسيو" إبان القرن الثالث عشر[2]؛ لهذا اقترح البعض من أجل تغيير نظرة الغرب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم السبل السلمية الرادعة لمنع

---

2 انظر تفصيل ذلك في السيرة النبوية في ضوء المصادر الصحيحة، المرجع السابق، ص304 إلى ص316، ومن هذه الدراسات صحيفة المدينة، دراسة حديثة وتحقيق:هارون محمد إسحاق، رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود بالرياض، 1985/1405م.

2 دفاع عن محمد صلى الله عليه وسلم ضد المنتقصين من قدره: عبد الرحمان بدوي، مصر، بدون تاريخ الطبع، ص11.

تكرار الإهانات، ويعني ذلك المضي قدما على محورين متوازيين:المحور الأول: هو تغيير النظرة السلبية عن النبي صلى الله عليه وسلم لدى الغربيين؛ المحور الثاني:هو إيقاف الاعتداء على كرامة النبي صلى الله عليه وسلم.

إن الإهانات تتكرر لأن مواجهتها ليست كافية، ولأننا لا نواجه من يقومون بها أو من يدعون إليها، أو يبررونها بالقوة الفكرية الكافية، من المهم أن نتبنى سياسة مختلفة في التعامل مع هذه الأزمة المتكررة، سياسة سلمية بلا شكّ، فالعنف لا يوقف هذه الحماقات الغربية، ولكنها يجب أن تكون سياسة قوية، تنطلق من ديننا ولا تخالفه[1]، ويضيف: كما أنه من واجبنا كممثلي حضارة إسلامية إنسانية منفتحة على الغير، نعمل على فتح أبواب الأمل والرجاء للالتقاء على نقاط وجوانب مشتركة مع كل الثقافات والحضارات، خاصة الحوار الذي تتوفر فيه الرغبة الجادة والنية الصادقة في احترام الغير[2].

وفي الأخير يقول:"إن بالغرب عددا من المفكرين والمثقفين من المتعاطفين مع العالم الإسلامي لأسباب فكرية، ونفعية متعددة، وهؤلاء المفكرون لا يجدون في الغرب من يساندهم أو يدعم أعمالهم، أو يساهم في التعريف بها، في ظل تنامي موجة الهجوم على الإسلام، بدعوى الحرب على الإرهاب، ونحن بحاجة إلى جهود هؤلاء في خدمة المشروع الإسلامي، وفي الدفاع عن نبي الأمة محمد صلى الله عليه وسلم".[3]

الخاتمة:

بعد كل هذه الجولة التي خضناها في البحث عن جهود الأمة في خدمة السيرة النبوية، من خلال فقه عظيم هو الفقه السياسي يظهر أن العمل لازال بحاجة إلى تظافر جهود الجميع، وهو على

1 لماذا يكرهونه؟ الأصول الفكرية لعلاقة الغرب بنبي الإسلام عليه الصلاة والسلام: د. باسم خفاجي، المركز العربي للدراسات الإنسانية، ط1، 1427هـ/2006م، ص97.

2 لماذا يكرهونه: باسم خفاجي، المرجع السابق، ص97.

3 المرجع نفسه والصفحة.

كل جهد مقل أرجو أن يتقوى بمعية جهود الآخرين؛ ولعل من أهم النقاط المتوصل إليها في هـــذه الخاتمة:

أولا:أن علماء الإسلام قديما وحديثا أفنوا أعمارهم في سبيل العلم والمعرفة، وقدموا لها أعمالا جليلة في سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم عبرت عن مدى حبهم لهذا الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم.

ثانيا:أن الفقه السياسي الإسلامي نال حظه الأوفى في كتب السيرة والمغازي قديما وحديثا، ودور المغاربة في ذلك واضح وبارز، وبخاصة من خلال كتاب الإمام الخزاعي، وعبد الحي الكتاني.

ثالثا:أن الاهتمام بالتخصص العلمي مما ينسجم وهذا العصر، فضلا عن أن كل عصر يبرز فيه علم على حساب علم، ولعل هذا العصر هو عصر السياسة بامتياز.

رابعا:أن الحاجة أصبحت اليوم ماسة إلى ضرورة القيام بدراسة ببليوغرافية تُحصي كل ما كتب عن السيرة النبوية، القديم منها والحديث، المخطوط منها والمطبوع، بل وكل ما له علاقة بالسيرة النبوية ولو بطرف منها، وقد علمتنا التجارب أن السيرة النبوية فيها من الكنوز ما تجعلك كل ما قرأت بالتفصيل التفصيل إلا وعثرت على الجديد.

خامسا: أن الفقه السياسي الإسلامي يعد اليوم مادة ضرورية وهامة يمكن أن تستثمر بشكل كبير وفعال في نصرة النبي صلى الله عليه وسلم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

قائمة المراجع

1- أبجد العلوم، محمد خان، طبعة 1296هـــ، الهند.
2- أدب الدنيا والدين: الإمام الماوردي، منشورات دار مكتبة أهل بيروت، 1988م.
3- إسلام نجاشي الحبشة ودوره في صدر الدعوة الإسلامية، الدكتورة سامية عبد العزيز منيسي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1421ه/2001م.

4- الاكتفاء في مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء للإمام أبي الربيع سليمان الكلاعي الأندلسي، تحقيق مصطفى عبد الواحد، مكتبة الخان في القاهرة، مصر، 1317هـ/1968م.

5- إمتاع الأسماع لتقي الدين المقريزي: تحقيق محمد عبد الحميد النميسي، ومحمد جميل غازي، دار الأنصار، القاهرة، ط1، 1401هـ/1981م.

6- الأمن واستراتيجية تحقيقه في السنة النبوية، صلاح الحديبية أ نموذجا، مقال بمجلة الصراط، كلية العلوم الإسلامية، الجزائر، العدد السابع عشر، رجب، 1429هـ/2008م.

7- أنساب الأشراف: أحمد يحي البلاذري، تحقيق محمد حميد الله، دار المعارف بمصر.

8- البداية والنهاية، للحافظ ابن كثير، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، السعودية، ط1، 1417ه/1997م.

9- بعض فوائد صلح الحديبية: محمد بن عبد الوهاب، تحقيق: د.ناصربن سعد الرشيد، مطابع الرياض، الرياض، ط1.

10- تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمري، دار طيبة، الرياض، ط2، 1405ه/1985م.

11- تاريخ الرسل والملوك لأبي جعفر الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط2.

12- تبصرة الحكام: ابن فرحون المالكي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1422هـ/2001م.

13- تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية، علي بن محمد بن مسعود الخزاعي، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1405هـ/1985م.

14- التعريفات: علي الجرجاني، مكتبة لبنان، بيروت، ط1985م.

15- جهود فقهاء المغرب العربي في بناء النظام الإسلامي، سليمان ولدخسال، أطروحة دكتوراه في العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر، 2008م.

16- حاشية ابن عابدين، محمد أمين، دار عالم الكتب، الرياض، 1423هـ/2003م.

17-خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم: محمد أبو زهرة، مطبعة دار القلم، مصر، 1399ه/1979م.

18-دراسات في مصطلح السياسة عند العرب: أحمد عبد السلام، الشركة التونسية، 1978م، ط1.

19- دراسات للمعاهدات: عتيق عبد الرحمان العثماني، البحوث والدراسات، المؤتمر العالمي الثالث للسيرة والسنة النبوية، منشورات المكتبة العصرية، بيروت.

20- دراسة تحليلية لشخصية الرسول محمد صلى الله عليه وسلم: محمد رواس قلعه جي،دار النفائس،بيروت،ط1، 1408هـ/1988م.

21- دراسة في منهاج الإسلام السياسي، سعدي أبو جيب، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1406ه/1985م.

22- الدرر في اختصار المغازي والسير: ابن عبد البر، تحقيق الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1403هـ.

23- دفاع عن محمد صلى الله عليه وسلم ضد المنتقصين من قدره: عبد الرحمان بدوي، مصر، بدون تاريخ مسبق.

24- زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وعبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط27، 1415ه/1994م.

25- سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد للإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي، تحقيق مصطفى عبد الواحد، مطابع الأهرام، القاهرة، 1418هـ/1997م.

26- السياسة الشرعية: عبد الرحمان تاج، الأزهر، 1415ه.

27- السياسة الشرعية مصدر للتقنين: عبد الله محمد القاضي، مطبعة دار الكتب الجامعية الحديثة، طنطا، مصر، ط1، 1410ه/1989م.

28- السياسة الشرعية وعلاقتها بالتنمية الاقتصادية، فؤاد عبد المنعم أحمد، المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، 1422هـ.

29- السياسة الشرعية: يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، مصر، ط1، 1419هـ/1998م.

30- سيرة ابن إسحاق المسماة بكتاب المبتدأ والمبحث والمغازي، تأليف محمد بن إسحاق بن بار، تحقيق وتعليق محمد حميد الله، معهد الدراسات والأبحاث والنشر، مطبعة محمد الخامس، فاس، المغرب، 1396هـ/1976م.

31- السيرة النبوية: أبو الحسن الندوي، دار الشروق، مكة، ط8ن 1410هـ/1989م.

32- السيرة النبوية: ابن هشام، مكتبة المنار، الأردن، ط1، 1409هـ/1986م.

33- السيرة النبوية الصحيحة: أكرم ضياء العمري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط6، 1415هـ/1994م.

34- السيرة النبوية دروس وعبر:عبد العزيز بن عبد الله الحميدي، دار الدعوة،الإسكندرية، مصر،طبعة 1426هـ/2005م.

35- السيرة النبوية دروس وعبر: مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق.

36-السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية: د. مهدي رزق الله أحمد، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط1، 1412ه/1992م.

37- صحيح مسلم بشرح النـــووي، الإمـــام مـــسلم، دار الكتـــب العلميـــة، بـــيروت، ط2، 1424هـ/2003م، ج12.

38-صحيفة المدينة، دراسة حديثة وتحقيق: هارون محمد إسحاق، رسالة ماجستير، جامعة الملـــك سعود بالرياض، 1985/1405م.

39- صلح الحديبية "الفتح المبين": شوقي أبو خليل، دار الفكر، دمشق، ط1، 1983م.

40-الطبقات الكبرى لابن سعد، دار صادر، بيروت، 1388ه/1928م وطبعة بتحقيق:الدكتور علي محمد عمر، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط1، 1421ه/2001م.

41- الطرق الحكمية: ابن القيم، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1423ه/2002م.

42- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير:الحافظ أبو الفتح محمد بن سيدالناس اليعمري، تحقيق محمد العيد الخطراوي ومحي الدين متو، دار التراث، المدينة المنـــورة، دار ابـــن كـــثير، دمشق.

43- غياث الأمم في التياث الظلم: أبو المعالي الجويني، مكتبة إمام الحرمين، ط2، 1401هـ.

44- الفقه السياسي: محمد عبد القادر أبو فارس، دار البشر، عمان، ط1، 1999م.

45- فقه السيرة النبويـــة، محمـــد ســـعيد رمـــضان البـــوطي، دار الفكـــر، دمـــشق، ط11، 1423هـ/2003م.

46- فقه المتغيرات في علائق الدولة الإسلامية بغيرها: سعد بن مطر المرشدي، دار الهدي النبـــوي، مصر، دار الفضيلة، السعودية،ط1،1430هـ/2003م.

47- قراءة سياسية للسيرة النبوية، محمـــد رواس قلعـــه جـــي، دار النفـــائس، بـــيروت، ط02، 1420ه/2000م.

48- قيادة رسول الله صلى الله عليه وسلم السياسة العسكرية: أحمد راتب عرموش، دار النفـــائس، بيروت، ط1، 1409هـ/1989م.

49- الكامل في التاريخ، ابن الأثير، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1407ه/1987م، وطبعة دار الكتاب العربي، بيروت، ط5، 1405هـ/1985م.

50- الكليّات: أبو البقاء الكفوي،مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2.

51-لسان العرب: ابن منظور، دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ النشر.

52- لماذا يكرهونه؟ الأصول الفكرية لعلاقة الغرب بنبي الإسلام عليه الصلاة والسلام: د. باســـم خفاجي، المركز العربي للدراسات الإنسانية، 1427ه/2006م.

53- مبادئ علم السياسة، محمود بركات، مكتبة العبيكان، الرياض، طبعة 1419هـ/1999م.

54- مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة: محمد حميد الله، دار النفائس، بيروت، ط5، 1405هـ/1985م.

55- المحاور الخمسة للقرآن الكريم: محمد الغزالي، دار السلام، القاهرة.

56- مرويات غزوة الحديبية: الحافظ محمد الحكمي، دار ابن القيم، السعودية، ط1، 1411هـ/1990م.

57- المستدرك، الحاكم، دار المعرفة، بيروت.

58- المصباح المنير: أحمد الفيومي، المكتبة العصرية، بيروت، ط3، 1420ه/1999م.

59- معلم السياسة، حسن مصعب، دار العلم للملايين، بيروت، 1996م.

60- معين الحكام: علاء الدين الطرابلسي، ط2، 1393ه/1973م.

61- المغازي للواقدي، تحقيق مارسدن جونس، جامعة أكسفورد، لندن، 1966م.

62- المغازي النبوية: ابن شهاب الزهري، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، 1401هـ/1981م.

63- المنهج الحركي للسيرة النبوية، منير محمد غضبان، شركة الشهاب، الجزائر.

64- المواهب اللدنية بالمنح المحمدية: أحمد القسطلاني، شرح وتعليق: مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1416هـ/1996م.

65- موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم: محمد علي التهانوي، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1996م.

66- نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية: محمد عبد الحي الكتاني الفاسي، شركة دار الأرقم بن زيد الرقم، بيروت، ط2، 1416هـ/1996م.

67-النظريات السياسية الإسلامية: محمد ضياء الدين الريس، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر، ط7.

68- النظرية السياسية والقانون الدستوري، عبد الغني بيومي عبد الله، الدار الجامعية، بيروت، 1995م.

69- النظم السياسية عبر العصور، محمد سعيد عمران وآخرون، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1999م.

70- الواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار: أحمد بن علي المقريزي، دار صادر، بيروت.